العرب
الأربعاء 2019/10/30
السنة 42 العدد 11513

معادلات ما بعد تصفية البغدادي

مرح البقاعي
كاتبة سورية أميركية

"جباناً كالكلب انتهى"... هكذا وصف الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، مشهد انتحار الإرهابي أبوبكر البغدادي، مؤسس وزعيم داعش، بتفجير نفسه بالحزام الناسف الذي كان يرتديه بعد أن حاصره جنود النخبة الأميركية في النفق المسدود الذي هرول إليه ليختبئ.

حال مداهمة الأميركيين لمقرّه في إدلب السورية، وكان "يبكي ويصرخ خوفاً بينما يحتجز ثلاثة أطفال اصطحبهم معه للموت في النفق"، كما وصفه ترامب الذي كان يشاهد العملية في بث حي عبر وسائط تكنولوجية عالية الدقة من غرفة العمليات في مقره الرئاسي بواشنطن، محاطاً بنائبه ووزير دفاعه ومستشاره للأمن القومي واثنين من كبار جنرالات البنتاغون.

توقيت العملية العسكرية التي أدار فصولها الجيش والاستخبارات الأميركيين، أثار العديد من الأسئلة والتوقعات في آن. فبعد أن تزامن عقد مؤتمر قوات سوريا الديمقراطية الصحافي من مقر لها في شرق الفرات لتفصح عن دورها في استهداف زعيم داعش وقتله، مع مؤتمر ترامب في البيت الأبيض حين إعلانه الرسمي عن العملية التي قضت على البغدادي؛ إضافة إلى ما أورده الضابط الناطق باسم "قسد" عن دور حلفاء واشنطن من الأكراد في نجاح العملية من خلال تقديم المعلومات الاستخبارية عن تحركات البغدادي في الأسبوعين الأخيرين إلى أن تمكنت منه اليد الأميركية الطولى على الإرهاب؛ وإثر إعلان وزير الدفاع الأميركي، مارك إسبر، بأن قائد قسد، مظلوم كوباني، هو الوحيد غير الأميركي من أعضاء الفريق الذي جهز لوجستياً ومعلوماتياً للعملية الفريدة والعالية الخطورة؛ كل ما سبق استدعى التساؤل عن إمكانية الربط بين أضلع مثلث برمودا الذي انتهى فيه البغدادي قاتلاً معه ثلاثة أطفال أبرياء قادهم كدرع بشرية إلى حتفهم وحتفه.

الضلع الأول من مثلث الموت يتعلق بالانسحاب الأميركي من سوريا وتزامنه مع عملية تصفية قائد داعش؛ وقد كان محل انتقاد كبير من صناع القرار في واشنطن، بمن فيهم أعضاء حزب الرئيس وأكبر داعميه من جمهوريي الكونغرس ومجلس الشيوخ. أما الضلع الثاني فيشير إلى الدور التركي في تأمين المعلومات الاستخبارية اللازمة والاحترافية عن مكان وجود البغدادي علماً أنه انتقل إلى إدلب منذ أسبوعين فقط بتنسيق مع جبهة النصرة، وما يحمل هذا الأمر من إمكانية أن يكون رأس البغدادي هدية قدمها الرئيس التركي رجب طيب أردوغان لترامب مقابل السماح له بإقامة المنطقة الآمنة بعد انسحاب الجيش الأميركي من شرق الفرات وإخلاء الساحة لتحقيق شبه انتصار يحتاجه الرئيس التركي في الداخل بعد خسائر سياسية متوالية لحزبه. أما الضلع الثالث فيرتبط مباشرة بالموقف الروسي من العملية التي تم إخطار الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بها من واشنطن قبيل حدوثها، ما جعل القوات الروسية تخلي الأجواء تماماً في أماكن سيطرتها وحليفها جيش الأسد لمرور الطائرات التي قامت بعملية الإنزال فوق معسكر البغدادي في إدلب بأمان كامل ودون عائق أو تحفظ.

أما عن الدور الكردي في إنجاز هذا النصر الكبير وقطع رأس أفعى داعش في وكره؛ ذاك النصر الذي سيكون جسراً ممهّداً لعبور ترامب بسلاسة إلى الدورة الثانية من الحكم، لأن ورقة القضاء على رأس الإرهاب هي الورقة الأعلى أهمية وبريقاً للناخب الأميركي؛ فيعني أنه لابد لترامب من الاعتراف للأكراد بدورهم في إنجاز المهمة التي كان يستدعيها منذ ثلاث سنوات وهو يلحّ على وزرائه ومستشاريه بالسؤال "أين البغدادي.. نريد رأس البغدادي"، ولابد من مكافأة أميركية لهم بعد خذلانهم الكبير بإخلاء الطريق أمام أنقرة لعملية أحادية الجانب دفعتهم مسافة 32 كيلومتراً خارج مواقعهم؛ وقد تكون المكافأة دسمة، بالإبقاء على قوات أميركية حول آبار النفط السورية، بحيث تكون إدارة الثروة النفطية لمجلس سوريا الديمقراطية الذراع السياسية لقوات قسد.

وأما عن الإسناد التركي للعملية، فليس إلا رداً للمنحة الأميركية بالمصادقة على الحملة العسكرية التركية على مواقع قسد، من رأس العين حتى تل أبيض؛ بل وغض البصر عن عمليات التنكيل والقتل المتعمد التي مارسها على المدنيين الأكراد الجيش التركي وحلفاؤه من التنظيمات التكفيرية.

أما عن موسكو وصمتها الذي وصل إلى حد تيسير العملية، فإن خيط تفاهماتها الرفيع والقوي مع واشنطن لم ينقطع منذ بدء العمليات العسكرية الروسية في سوريا في سبتمبر 2015؛ بل منذ التفاهم الروسي الأميركي بين الوزيرين جون كيري وسيرغي لافروف، الذي منع الضربة العسكرية الأميركية للنظام السوري في اللحظات الأخيرة، بعد أن كانت البوارج الأميركية قد وصلت إلى مسافة أميال من السواحل السورية لإنجاز إسقاط النظام الذي استخدم السلاح الكيميائي ضد المدنيين في مجزرة الغوطة الشرقية في شهر أغسطس عام 2013. تقاطعت عملية تصفية البغدادي مع مصالح دولية وإقليمية قد تتجاوز عدد أضلع المثلث المذكور لتصل إلى المربّع أو المخمّس على شاكلة بناء البنتاغون في واشنطن.

فإلى ماذا ستؤول أمور الشمال السوري إثر القضاء على رأس تنظيم داعش في عملية العام وكل الأعوام تلك العجاف التي مرّت على سوريا منذ اتخذ تنظيم داعش من أرضها مستقراً له مستفيداً من الفوضى الميدانية، والاستعصاء السياسي، وتضارب المصالح الإقليمية والدولية، وتناقضات المشهد السريالي السوري؟ وهل توقيت القضاء على البغدادي هو بمثابة ضوء أخضر لتطلق موسكو ومن خلفها نظام دمشق حملة ثقيلة على إدلب -معقل المعارضة الأخير- متذرّعة بانتقال زعامة داعش إليها بالتعاون مع جبهة النصرة التوأم في الإرهاب والتطرف العنيف؟

من نافلة القول إن ترامب يحرص على استثمار عملية تصفية البغدادي لصالحه الشخصي إلى الحدود القصوى الممكنة لأسباب داخلية تتعلق بمشروع عزله عن منصبه الذي يقوده ديمقراطيّو الكونغرس، وكذا محاولته كسب ثقة الشعب الأميركي بإعادة أبنائهم الملتحقين بالجيش الأميركي إلى بيوتهم في فترة الأعياد والميلاد بإعلانه انسحابه من سوريا، وما سيترتب عليه من ارتفاع الزخم الشعبي للتصويت له لدورة رئاسية ثانية؛ ومن نافلة القول أيضاً إن أردوغان أراد أن يضرب عصفورين بحجر واحد: الأول إرضاء ترامب بعد أن سهل مهمته في إبعاد القوات الكردية عن حدودها والظهور أمام شعبه بمظهر المنتصر، والثاني يستهدف عصفور الأكراد في تلقينهم درساً قد فاته في العراق، فتأسس إقليم كردستان العراق على حدوده بمقوماته السياسية كافة وإمكاناته الاقتصادية التي في صلبها نفط كركوك.

ومن نافلة القول إن موسكو ومن ورائها نظام الأسد قد صمتت عن الترتيبات الأحادية الأميركية في شمال سوريا، كما فتحت الطريق البري والجوي لإنجاز عملية تصفية البغدادي، لهدف واحد وهو إبراز الحجة بأن ضرب المتطرفين في إدلب واستعادة المحافظة إلى "حضن الوطن" أصبحا ضرورة ملحّة ولم يعودا ترفاً سياسياً وحسب.

استدعت موسكو مؤخراً المزيد من قوات المشاة والآليات البرية إلى سوريا؛ فهل تستعد لاقتحام إدلب براً هذه المرة، وحجة القضاء على الإرهاب في يمينها وجيش الأسد بيسارها؟ وماذا سيكون موقف اللاعبين أصحاب النفوذ في الشمال السوري من كل القوى المنتشرة هناك؟ وهل الأنفاق التي حفرها الإرهابيون من جبهة النصرة ومشتقاتها ستكون قبرا لهم كما كانت قبرا لزعيمهم، أم أن المدنيين هم من سيدفعون الثمن غاليا؟

حسن نصرالله وفن صناعة الفشل

علي قاسم
كاتب سوري
مقيم في تونس

كيف سيقنع حسن نصرالله اللبنانيين أنه جادّ في محاربة إسرائيل واسترجاع فلسطين بعد أن تسبب في إفقارهم وتجويعهم، ليصل لبنان بفضل "إنجازاته التاريخية" إلى حافة الإفلاس.

في الأيام الأولى للاحتجاجات اللبنانية، وقبل أن يدرك نصرالله عمقها، تحدث حديث الجاهل، متحدّيا المحتجّين الذين خرجوا إلى الشارع مطالبين بتغيير الحكومة ومحاسبة الفاسدين، معلنا رفضه الدعوة لانتخابات نيابية مبكرة، رافضا استقالة الحكومة.

ردة فعل الشارع فاجأته، حيث استدار المحتجون عليه يقولون له إنه واحد من هؤلاء الفاسدين.

توقّع الجميع أن يطول صمت السيد بعد ردة فعل اللبنانيين على خطابه، وأن يعتكف جانبا للصلاة والعبادة ويهجر السياسة، ولكن من كان مثله، يعيش في الأوهام، لا يقبل الكف عن مقارعة طواحين الهواء، حتى لو كان الثمن دمار لبنان.

كان بوسعه أن ينتظر، على طريقة أولياء الله الصالحين، حدوث معجزة تخرجه من ورطته. ولكنه فضل المواجهة، فالمعجزة لن تأتيه طوعا، واللبنانيون يطلبون رأسه، وإيران التي رعته منذ اللحظة الأولى، وأغدقت عليه ليغدق هو على ميليشياته المسلحة، غارقة هي الأخرى بأزمة اقتصادية حادة.

رغم ذلك، هدد نصرالله المحتجين ملوحا باحتمال اللجوء إلى القوة قائلا "جاهزون لتقديم الدم لحماية أهلنا وحماية البلد من الفوضى والانهيار". ولم ينسَ اللازمة التي يلجأ إليها دائما، التهديد بشن حرب ضد إسرائيل. عن أي انهيار يتحدّث، وماذا يسمي ما وصل إليه لبنان؟

حسن نصرالله معذور، هو صاحب قضية لا تهمّ أمامها حياة اللبنانيين، ويبدو الحديث عن الأزمة الاقتصادية في ظلها ترفا مرفوضا. ماذا يعني أن يموت اللبنانيون جوعا، أو أن يفنى مليون أو حتى نصف الكون.

أصحاب القضايا الكبيرة، وهو واحد منهم، لا يحتاجون إلى ثقافة اقتصادية، كل ما عليه أن يستلم الأجر من ملالي إيران ويوزعه على أتباعه.

لا نريد أن نقول إن لبنان أوشك على الإفلاس بسبب من نصرالله وحده، الفاسدون في لبنان كثيرون، وباعتراف الدولة نفسها. ولكن، ما كان للبنان أن يتحول إلى دولة فاشلة لولا ثقافة الميليشيات التي تخلى عنها الجميع في لبنان وتمسك بها نصرالله.

بفضل المناضلين من أمثاله، تضاعف معدل البطالة في لبنان، ليصل إلى 36 بالمئة في العام الحالي، بعد أن كان 20 بالمئة في العام 2014، وفق بيانات صندوق النقد الدولي.

وارتفعت نسبة الفقر لتتجاوز 30 بالمئة، وفق نفس المصدر، واتسعت رقعة عدم المساواة في الدخل بين اللبنانيين؛ إذ يعادل مدخول واحد بالألف من اللبنانيين مدخول نصف سكان البلاد مجتمعين، حسب أرقام نشرتها وكالة "رويترز" نهاية عام 2018.

ما تسبب بهذه المؤشرات الحمراء للاقتصاد اللبناني هو حجم الفساد الذي ينخر مؤسسات الدولة، التي يدافع عنها السيد نصرالله، فلبنان احتل المرتبة 143 بين 180 دولة في تصنيف الفساد الصادر عن منظمة الشفافية الدولية.

في نطاق الحرب على الفساد، ونزولا عند ضغط الشارع، وقع عدد من النواب والوزراء مؤخرا بيانات مصدقة من كتاب العدل، لرفع السرية المصرفية عن حساباتهم، داخل لبنان وخارجه، داعين الآخرين للاقتداء بهم.

هل يباشر نصرالله، الذي اتهم المحتجين بالعمالة وتلقي أموال من سفارات أجنبية، ويكشف عن حسابات حزبه المصرفية ومصدر تمويله، أسوة بالآخرين، أم أن مجرد التفكير بذلك يعد من المحرمات، وسرا من أسرار دولة حزب الله التي أقامها داخل الدولة اللبنانية.

يبدو أن الأموال التي ينفقها نصرالله على ميليشياته، تدخل ضمن أتعاب حروب يخوضها بالوكالة عن الآخرين، أو هي أموال زكاة يأخذها من بيت مال المسلمين.

قوة الأكراد في التفاوض مع دمشق

بهاء العوام
صحافي سوري

بعد نحو تسع سنوات من الأزمة السورية يجلس الأكراد أمام نظام دمشق ليتفاوضوا على مستقبلهم في البلاد. تبدو أوراق الأكراد قليلة بعد تخلي الولايات المتحدة عنهم، ولكن ربما تكون كافية لتحقيق ما حلموا به طوال عقود منذ وصول حافظ الأسد إلى السلطة عام 1970.

لن نتحدث هنا عن حلم الدولة الكردية، فالإدارة الذاتية لشرق الفرات لطالما قالت إن الأكراد لا يتطلعون للاستقلال. سنجعل سقف هذه الأحلام هو الإقليم ذاتي الإدارة على غرار ما حصل عليه أكراد العراق، مقابل التعاون مع الولايات المتحدة في إزاحة الرئيس صدام حسين عن السلطة في عام 2003.

لم يسقط الأسد كما سقط صدام حسين، والأميركيون انسحبوا من سوريا بدل أن يحتلوها. للأكراد خصومة مع الإيرانيين والأتراك وبالتالي لم يتبقّ أمامهم سوى روسيا صاحبة اليد الطولى في البلاد، لترعى مفاوضاتهم مع حكومة الأسد في دمشق، أو ليتفاوضوا معها حول ما يريدون من دمشق.

ورقة القوة الأولى لدى الأكراد أن لديهم المرونة في التفاوض على كل شيء. الغاية الأساسية لهم هي تحصيل حقوقهم في الدولة السورية المقبلة، بغض النظر عما جرى خلال السنوات الماضية، وبغض النظر عن استمرار وجود الأسد في السلطة.

في مساواة الأكراد مع بقية السوريين في الحقوق والواجبات غاية روسية ليست نابعة من عدالة موسكو، بل من قوتها ومصالحها. فالروس يريدون إنهاء الأزمة بطريقة تضمن لهم الاستقرار في البلاد لعقود طويلة، ومن جهة أخرى يريدون تقديم نموذج جيد لدول ترتاب من تدخل روسيا في المنطقة. لدى الروس تصور لحل الأزمة السورية لن يفاوضوا الأكراد خارجه، ولن يمنحوهم امتيازات لا تتمتع بها بقية فئات الشعب. إذا كان الروس يريدون الإدارة اللامركزية في البلاد، فسيكون لمحافظات الشمال كما لغيرها، استقلالية في إدارة شؤونها المالية والتنموية وتبعية للعاصمة في الخارجية والدفاع.

لن يجلس الأكراد على طاولة المفاوضات مع دمشق صاغرين. صحيح أنهم كسروا بعد العدوان التركي على مناطقهم ولكنهم لم يخسروا كل شيء. ما يفاوض من أجله الأكراد مع الروس اليوم هو استرداد سوريّتهم التي سلبها نظام الأسد

ربما يُعجب الروس بعض من ملامح الإدارة الذاتية في الشمال فيعمّمونها على بقية المناطق السورية، ولكن السلطة المتقاسمة بين العرب والأكراد لا تبدو وصفة صالحة لذلك. إذا أرادت روسيا أن تحافظ على وحدة سوريا، فالسلطة يجب أن تمر عبر صناديق الاقتراع دون اعتبارات أخرى.

لا يريد الروس الحديث عن مصير الرئيس بشار الأسد حالياً، وإنما يريدون وضع دستور جديد للبلاد يفضي إلى انتخابات برلمانية ورئاسية. يمكن للأكراد فعل ذلك ببساطة، شرط أن تضمن موسكو لهم المشاركة في وضع دستور البلاد وخوض السباقات الانتخابية للاستحقاقين التشريعي والرئاسي.

لن يُفرّط الروس في التشكيلات العسكرية لقوات سوريا الديمقراطية. فهي توفر الكثير من الجهد في إعادة بناء الجيش السوري بعد تفكيك مرجعياته الطائفية على مستوى القيادات.

المخابرات الكردية (الأسايش) يمكن أن تكون أيضا جزءا من الصفقة المقبلة بين الأكراد والنظام السوري إذا أراد الروس ذلك، ولكن ليس قبل أن تصدر دمشق عفواً عاما عن كافة المطلوبين السياسيين في مناطق الشمال، وتفرج عن المعتقلين الأكراد القابعين في سجون النظام منذ سنوات بتهم سياسية.

ولن يجد الروس ضيراً في الحفاظ على الحقوق الثقافية للأكراد وغيرهم من القوميات في سوريا. ثمة حلول للقضايا الخلافية في هذا الشأن يمكن الوصول إليها، شرط أن لا تحمل المقترحات تغليباً لهوية على حساب أخرى. وبالتالي يكون الانتماء للدولة السورية متقدماً على جميع الانتماءات الأخرى.

من أوراق قوة الأكراد أيضا أنهم ليسوا على قوائم الإرهاب الروسية أو الأممية، ولا تنطوي تشكيلاتهم السياسية أو العسكرية على شبهة التطرف الديني. حرص الأكراد على غياب المظاهر الدينية المشبوهة في مناطقهم، وقد نجحوا في ذلك لأنهم لا يربطون الدين بالسياسة حتى من قبل الثورة.

ثمة موطن قوة آخر للأكراد في التفاوض مع الروس ودمشق، وهو المشاركة في حماية حقول النفط التي يسيطر عليها الأميركيون.

في الحقيقة لم يتخل الأميركيون عن الأكراد بشكل كامل كما يعتقد البعض. ثمة بعض الأبواب الخلفية التي تركوها لدعمهم بالتعاون مع الاتحاد الأوروبي. خاصة وأن الأكراد لا يزالون حتى هذه اللحظة حراس معتقلات الدواعش، ويمتلكون ملفات هامة حول قادة التنظيم وخلاياه النائمة في مناطق الجزيرة السورية.

لن يجلس الأكراد على طاولة المفاوضات مع دمشق صاغرين. صحيح أنهم كسروا بعد العدوان التركي على مناطقهم، ولكنهم لم يخسروا كل شيء. ما يفاوض من أجله الأكراد مع الروس اليوم هو استرداد سوريتهم التي سلبها نظام الأسد، ليس منهم فقط وإنما من ملايين السوريين على طول البلاد وعرضها.

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk